الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فربطوا النفس اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة
ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولابد
من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولا
كن كل حساب يبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران معاقبة ومعاتبة ولنذكر
شرح هذه المقامات اعلم ان مطلب المعاملين في التجارات عند المحاسبة سلامة راس المال
ثم الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم المال اليه حتى يتجر فيه ثم يحاسبه فكذلك العقل
هو التاجر في طريق الاخرة وراس ماله العمر وانما مطلبه وربحه تزكية النفس لان به فلاحها
في اعمال الصالحات والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما
يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله فكما ان الشريك يصير خصما منا
زعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه
او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف و
يشترط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطريق
ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كا
لعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها
بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا
مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا الحقيرة الفانية فحتم على كل
مومن ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها فان كل
نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها فاذا اصبح وفرغ من فريضة الصبح فينبغي
له ان يفرغ قلبه ساعة المشارطة للنفس ويقول لها مالي بضاعة الا العمر فان فني فني راس
المال ووقع الاياس من التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد الذي امهلني الله فيه فاياك
اياك ان تضيعيه ثم يتعرض لها وصية اخرى في اعضائه السبعة العين والاذن واللسان والبطن
والفرج واليد والرجل فاذا اوصى نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المرا
قبة لها عند الخوض في الاعمال فانها ان تركت طغت وفسدت وكما ان العبد يكون له وقت اول
النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فكذلك ينبغي ان تكون له في اخر النهار
ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التاجر في
الدنيا مع الشركاء في اخر كل سنة او شهر او يوم حرصا على الدنيا الفانية ومعنى
المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران لتتبين له الزيادة من النقصان
فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه
في المستقبل فكذلك راس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه
المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الامارة بالسوء فيحاسبها
على الفرائض فان اداها على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلها وان فوتها من اصلها

طالبها

لما ليبعها بالقضآء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها
لها وتعذيبها ومعاتبتها ولا يهملها لئلا تتانس بفعل المعاصي ويعسر عليه فطامها فاذا ا
كل لقمة شبهة لشهوة نفس فينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى محرم فينبغي ان
يعاقب العين بمنع النظر وكذلك ينبغي ان يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعه عن شهوته هكذا
كانت عادة سالكي الاخرة وان راى انها تتوانا بحكم الكسل عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد
فينبغي ان يودبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الفضائل جبرا لما فات وتداركا لما جبرا
فرط ويقبل على نفسه فيقرر عندها جهلها وحماقتها ويقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة
والذكآء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار
وانك صائرة الى احدهما لا محالة على القرب فما بالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت
مطلوبة بهذا الخطب الجسيم فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو
ات قريب ويحك جراتك على معصية الله ان كانت لاعتقادك ان الله تعالى لا يراك فما اعظم
كفرك وان كانت مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك ويحك وما اقل حياءك
ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك
عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه انظر تمام كلامه نفعنا الله
به وامّا وزنه الخالص الذي يخطر على بال الانسان من فعل او ترك بالقسطاس بضم القاف وكسرها
وهو الميزان بلغة الروم وفي البخاري وهو اقوم الموازين قال وذكر
البخاري عن مجاهد انه العدل بالرومية انتهى والمراد به هنا حكم الشرع فقد تقدم
عن الشيخ الجزولي ما معناه انه ينبغي للانسان ان يجعل على قلبه الذي هو امير الجسد
حاجبا يستاذنه فيما يريد فعله او تركه وهو الشرع فاذا الهم على بال الانسان فعل او ترك
رجع فيه الى الشرع فما امره بفعله فعله وما امره بتركه تركه وفيه يوصف
بالاستقامة وانما يزن الخاطر بالشرع لان الاحكام لا تعرف الا منه ثم له ثلاثة احوال احدها
ان يعلم انه مامور به شرعا اما على طريق الوجوب او الاستحباب فيبادر الى فعله فانه من الرحمان
ثم يحتمل ان يكون الالهام من الله ويكون ويحتمل ان يكون من الغآء الملك والروح والفرق بينهما
ان القآء الملك قد تعارضه النفس والشيطان بالوسواس بخلاف الخواطر الالهية فانه لا يم
ازجها شيء بل تنقاد لها النفس وكذلك الشيطان طوعا وكرها وانما يبادر الى فعله كما
قال الاستاذ ابو القاسم القشيري انه ان توقف يبرد الامر وتهب
ريح التكاسل فات تحصيلها مع كونه مامورا به ان يقع على صفة منقبة فيجب او ردآءه فلا
يكون ذلك مما تعالك من المبادرة اليه وهو ثم قال الشهرزوري اعلموا
خبث العجب مستخرجا منه وذلك لان تطهير القلب من نزغات الشيطان بالكلية
متعذر ولو وقفنا العبادة على الكمال لتعذر لنا اشتغال بشيء من العبادات وكذلك يو
جب البطالة وهو اقصى غرض الشيطان وهو ثم ايضا كان احتياج الاستغفار لنا

Copyright © King Saud University